في حضرة عالم..
(إحالات علي هامش سيرة الميلاد)

د. عوض شبا

مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر – السودان

المستخلص:

هذه الورقة تحاول أن تلقي بعض الضوء علي أثر بيئة النشأة والميلاد في ملامح سيرة عالم الآثار السوداني المرموق البروفسير/ علي عثمان محمد صالح وفي توجهاته العلمية والفكرية وذلك بإستخدام المنهج التاريخي التحليلي في الدراسة ؛ وكذلك وضحت الورقة أهمية الإستفادة من عنصر الإحتكاك والمعايشة في كتابة وتوثيق سيرة الأعلام في حياتهم لأنها قابلة للتدقيق والمراجعة من أصحابها مما يجعلها اقرب للواقع والحقيقة.

Abstract:

This paper attempts to shed some light on the impact of the environment of origin and birth in the features of the biography of the distinguished Sudanese archaeologist Professor / Ali Osman Muhammad Salih and his scientific and intellectual orientations, using the historical-analytical method in the study; The paper also clarified the importance of benefiting from the element of friction and coexistence in writing and documenting the biography of the media in their lives, because it is subject to scrutiny and revision, making it closer to reality and the truth.

مقدمة:

هذه الورقة ربما لا تكون ورقة علمية مستوفية لكل الشروط المطلوبة، وفق ماهو معمول به في الأوساط الأكاديمية ومتعارف عليه من معايير وضوابط منهجية صارمة، وكذلك ليست دراسة متكاملة عن شخصية معروفة في الأوساط العلمية تتناول سيرته ومسيرته وإنما هي في جوهرها – كما ورد

في العنوان- إضاءات أولية لأثر مكان الميلاد والنشأة في تكوين وتوجيه ملامح شخصية عظيمة لم تقف عند حقل تخصصه وهو علم الآثار وإنما تعدى ذلك إلي التاريخ والتصوف والسياسة وغيرها. تناولناها من وحي المعاشرة والإحتكاك به ، أو قل هي إنطباعات شخصية ومشاهدات رسخت فى ذهن الكاتب وتكونت من خلالها.

من جانب آخر تحاول الورقة أن تكتسب الصبغة العلمية فى أسلوبها التوثيقي لإعتمادها على رؤية منهجية واضحة تركز على الدور الأساسى لبيئة الميلاد والنشأة في تكوين الشخصية مثلت جانبا مهما من إهتمامات ودراسات الكاتب في الفترة الأخيرة[1] ، ولعل في هذه الدراسة ميزة مصدرية لم تتوفر لغيرها من الدراسات وهو معايشة الكاتب للشخصية قد تمكنه من تقديم نظرة موضوعية عن الشخصية لأن معظم الدراسات عن الشخصيات تمت لشخصيات برزت دورها بعد وفاتها لأسباب أيدولوجية وغيرها .

إن أهمية هذه الدراسة تكمن فى إرتكازه على فرضية قابلة للنقاش تقول بأن للبيئة ومكان النشأة دور أساس في تكوين ملامح الشخصية وأن المنتوج العلمي والفكري لشخصية الدراسة لا يمكن دراسته بصورة منفصلة عن السمات الأساسية لشخصيته ، وكذلك من عناصر اهمية هذه الورقة- كما وضحت- أنها كتبت تحت سمع وبصر الشخصية وأن عطاءه مازال مستمرا.

ولمعالجة موضوع هذه الورقة بصورة مرضية رغم إيجازها تم تقسيمها للمحاور الآتية:

- مقدمة .
- مشكيلا.. الميلاد والنشأة.
- المزاج النوبي في شخصيته.
- ملاحظات أولية لسيرته العلمية والفكرية.
- الخاتمة .
- لمصادر والمراجع.
- الملاحق.

مشكيلا ٠٠ الميلاد والنشأة:

من الضروري عند دراسة أي شخصية الوقوف على ظروف الميلاد والعوامل الاجتماعية والبيئية التي نشأ فيها ، لأن للسنوات الأولى في حياة الطفل

دور اساسي في تشكيل سمات شخصيته وتكوين سلوكه واتجاهاته الإجتماعية التي تبقي ثابتة خلال حياته وتلازمه دوما ، وقد تكتسب بعض السمات أخري نتيجة تفاعلها مع بعض المجتمعات والبيئات الأخري والجديدة [3] لذا سوف نلقي بعض الضؤ علي مكان ميلاد ونشاة العلامة علي عثمان محمد صالح كنقطة إنطلاقة محورية في هذه الورقة الموجزة.

تقول السيرة الذاتية للبروفسير/علي عثمان محمد صالح -كما رواها لي - أنه ولد بمشكيلا عام 1946م وتربي في ربوعها وارتبط بها وتأثر بها واثرت عليه .وأصوله من أسرية محسية من مشكيلا تداخلت مع أسرة دنقلاوية تنتمي لمنطقة السير بأرقو حيث ان والدة أبيه عثمان من هناك وكانت هي الرابطة التى جمعته بزوجته نعيمة إدريس خيري عام 1974م وأنجب منها ابنته ألارآ وابنه أحمد وكان زواجه بمدينة الخرطوم مكان إستقرار زوجته ونسابته واقام بها بعد زواجه ولكنه أقام كل مراسم عرسه الأولي بمشكيلا كما تقتضيها العادات والتقاليد النوبية ثم أكملها بالخرطوم [4].

كانت قرية مشكيلا في منطقة المحس النوبية بشمال السودان هي مكان الميلاد والنشأة .ومشكيلا أو مشكلية كما تم تعريفه في موقع ويكيبديا «... اسم مركب من «مشة» وتعني الشمس و«كيلة» وتعني النهاية.

وبحسب الأساطير القديمة معناها «نهاية الشمس» أو «حد الشمس» أو «آخر الشمس» . و يذكر البروفسور علي عثمان محمد صالح عالم الآثار النوبي و ابن القرية معني آخر للاسم هو أيضا مركب من كلمتين ميشي بمعني كبير أو ضخم (راجع اجزاء الساقية) و كول بمعني حفير . اي الحفير الكبير. وقد نشر ذلك في مجلة مشكنور.

تقع قرية مشكيلة في شمال السودان على بعد حوالى 600 كيلومترٍ شمال الخرطوم وعلى بعد حوالى 90 كيلومتر شمال مدينة دنقلا، على الضفة الشرقية لنهر النيل وعلى بعد كيلومترات قليلة من الشلال الثالث للنيل (كجبار وهي بأرض المحس محافظة وادي حلفا على ضفاف نهر النيل عند منحنى النهر شرق- غرب تحدها شرقا قرية فريق و غربا قرية نوري و شمالا بالضفة الاخرى للنيل قرية دفوي.

تتكون القرية من العديد من الاحياء تصطف بمحاذاة النيل من الغرب الي الشرق هي: كسبتة، فقيركي، خشابكي، تبدنكي، حاجنكي، ادولكي، فركي، مشكيلة وسط، نصركي، همبون، ارمد، حسنكي، كولوسود.

توجد سلسلة جبلية بمحاذاة القرية، ولذا سميت بأرض الحجر. التعداد السكاني حوالى 2000نسمة. ولكن يقدر عدد اهلها باكثر من ذلك بكثير ولكن اغلبهم يعملون في العاصمة أو دول المهجر و يعودون في الاجازات كما هو الحال في كل القري النوبية الاخرى، وهي أكبر قري المحس و اكثرها اكتظاظا بالسكان.

تحتوي القرية علي العديد من المواقع الاثرية من حقب تاريخية مختلفة و توجد العديد من الحصون الحجرية و الطينية و بعض القباب الإسلامية في مقابرها. يوجد بالقرية مدرستان للاساس واحدة للبنين و اخري للبنات و مستوصف و نادي اجتماعي و مشروع زراعي تعاوني. تمتاز بنخيلها و خصب اراضيها رغم ضيقها الشديد. كما يرسم النيل شريطا من الجمال و الخضرة وسط الصحراء الشاسعة .

ينتشر أبناء القرية الان في الخرطوم و اماكن كثيرة في السودان كما ينتشرون في الكثير من بلدان العالم خصوصا في المملكة العربية السعودية و الولايات المتحدة الأمريكية و كندا»[5]. وعودا على بدء وحتى نستكمل جوانب التعريف بأسرة على عثمان وبعض تفاصيل نشأته وتعليمه نستعين ببعض ما خطه قلم شيخ الدين مختار عن هذا الموضوع :» وُلد على عثمان محمد صالح بالمحس فى قرية مشكيلة ، وتحديداً فى حلة (حاجينكى) ، والدته هي فاطمة أمين آدم حاج .أما زوجته نعيمة إدريس خيرى ، فهي صاحبة الفضل الكبير بعد الله فى تشكيل العالَم الخاص ليكون على عثمان عالمًا ، فبعد زواجهما أراد الله أن يؤّخر لهما وهْبة الذرية ، فصبرا صبرًا جميلًا ، ولكن أهله استعجلوه ذات مرة ، فكان أن غضب غضبة مضرية ؛ وقال:» هي التى تهيئ لى حياتى العِلْمية ، ودونها يهون كل شئ «؛ إدريس خيرى والد نعيمة هو شقيق ستنا خيرى والدة عثمان محمد صالح وإخوته ، وتعود أصولها إلى قرية السير بأرقو من حيث الموطن ، وقد استقر بهم المقام فى الخرطوم حيث كان النقل النهرى .

أعمامه أربعة وهم مزارعون و عمال وتجار ، وجدهم شريف حاج زوج (مياسة أدول) ، وأدول هذا ، صاحب حِلة ، وقبة ، وصاحب شأن فى عالم الروحانيات.

في النصف الأول من أربعينيات القرن العشرين لم تكن هناك وسائل للحياة غير تلك السواقى التى كانت تنوح من بزوغ الفجر إلى مغيب الشمس ، وصراع دائم لإستزراع الأرض بالطورية والمنجل .

أول مدخل للطفل على فى عالم (أقرأ) كان خلوة خاله فقير عبدالله خيرى فى (همبون) مسقط رأس جدته كوشيه ، وعبدالله خيرى هو الأخ الأكبر لفاطمة أمين والدة على عثمان ، وأخ يعقوب أمين خاله ؛ وثلاثتهم أولاد كوشيه فضل .وكان للطفل على نصيب فى خلوة أوشى وهي الخلوة التى تلت خلوة همبون .

تجاور مشكيلا منطقة نوري وكان بها مملكة، وفي نورى هذه قبة شيخ إنحدر من صلبه أربعة أولاد وبنت واحدة ، يرجع إليهم أغلب نسب مشكيلة ، وهذه القبة شهدت أفراح ختان على عثمان واولاد المنطقة

نشأ الطفل على عثمان فى هذه القرية :

وكان محظوظا حيث وجد رعاية خاصة جدًا من والده عثمان ومن أقربائه حامد محمد صالح وصالح وأبوبكر وأحمد وكان محل حفاوة من أهل الحي وكان الساعد الأيمن للحاج حامد في إدارة دكانه وشئون العائلة وكان كاتب الرسائل وحافظ الأسرار ومن دون أولاد (حاجينكي)كان الأوفر حظا وقبولًا وللأمانة كل أهل مشكيلة كانوا يحتفلون بقدومه وسفره ، في زمن

قليلٌ من حُظيَ بالتعليم ، فالرهط الأول تعلم فى خلوة جزيرة مقاصر وخلوة أوشى بفريق ثم خلوة الشيخ تاج الختم بفريق ، ثم بخلوة أوشى فى مشكيلة ونفر لا يتجاوز عددهم العشرة فى الأزهر الشريف بمصر .

درس على عثمان المدرسة الأولية فى فريق القرية المجاورة لقريته ،فى بدايات الخمسينات ، ووقتها كانت مناطق المحس على إتساعها وكثافة سكانها لم تنشأ فيها إلا مدرستى دلقو ، وفريق ، وتلقى تعليمه الأوسط فى مدرسة دلقو الوسطى ، وأيضاً كانت هي المدرسة الوسطى الوحيدة فى المحس . كان لمحدودية عدد التلاميذ الذين يتم قبولهم من كل قرية فى مدرسة فريق الأولية، دور مهم فى بلورة أهمية التعليم فى مفاهيم الناس ، بل وتعظيم الناس لطالب التعليم ، ومن هنا كان نظرة مجتمع مشكيلة لإبنهم على عثمان وهو يتدرج فى سلم التعليم بنجاح ، نظرة كل أب لابنه ، ونظرة كل أم لإبنها ، فقد درجوا على الإحتفاء بنجاحه فى كل مرحلة وكان مسك الختام تخرجه فى جامعة الخرطوم ، فاحتفت به الأسرة الكبيرة (آل حاج)

بمشاركة القرية كلها ، وتوالت دعوات الولائم طيلة العطلة الصيفية للمدارس والجامعات والتى كانت تمتد إلى ثلاثة أشهر .

درس على عثمان المرحلة الثانوية فى الأهلية أمدرمان ، وأمضى فترة طويلة مشاركًا خاله محمد طه عبدالكريم السكنى فى منزله ، وقد هيأ له أسباب

الراحة والمذاكرة وتجلى نبوغه فى التعلم ، هذا ، وقد إمتحن للدخول فى المرحلة الثانوية من الخرطوم الذى وفد إليه بعد أن مرض فى دلقو الوسطى ...»[٦].

إن حياة البروفسير على عثمان محمد صالح إرتبطت بمنطقة ميلاده ونشأته إرتباطا وثيقا حتى بعد التحق بكلية الآداب-جامعة الخرطوم عام 1965م وتخرج فيها .

كان على عثمان في طفولته يسترق السمع لصوت تلاوة القرآن الكريم العطرة في خلوة القرية ، ويستأنس بحلق الذكر من السادة الختمية وإلي ترانيم السادة الأدارسة الطربقتان الصوفيتان التى إشتهرتا في المنطقة لتكونا البذرة التى ربت في نفسه حبه للتصوف ليصبح فيما بعد أحد خلفاء الطريقة السمانية. وهذه القاعدة الروحية التي تربي عليها وما ألف عليها من اسرته ربما هي التي جعلته ينتمي سياسيا للحزب الاتحادي الديمقراطي ويكون من قادتها السياسيين.

بعد تخرجه من الجامعة لم تنقطع صلته بمشكيلا فكان من المؤسسين لرابطة طلاب المنطقة بالجامعات والمعاهد العليا ونادي أبناء مشكيلا، ثم إتحاد أبناء المحس وانتخب رئيسا له لدورة عام 1969م ولعدة دورات آخري .

هذه مؤشرات عامة تبين لنا مدى تعلقه بمنطقته النوبية وكان دوره أساس في تكون شخصيته العلمية. ويكفينا هنا أنه يردد دوما «أنا من مشكيلا ومازالت أقيم فيها ومنزلي بنيته هناك لأنه مكان إقامتي أنزل بها سنويا ووجودى بالخرطوم وإن طال إقامة مؤقتة «[7].

المزاج النوبي في شخصيته:

تعددت تعريفات الشخصية على حسب التخصصات، ولكننا تكتفي هنا بتعريف مبسط يفيء بالغرض المطلوب يقول: بأنها المحصلة النهائية لتفاعل العديد من العوامل والمؤثرات على الإنسان منذ أن يتخلق في رحم أمه وخلال مسيرة حياته من الميلاد وحتى الممات، أو بمعنى أن الإنسان هو ابن البيئة والوراثة [8]بصورة عامة. اما الشخصية السودانية فإن ابوسليم يري أنها خلال مسيرتها التاريخية الطويلة تأثرت بعاملين اساسين:

الأول: البيئات المتعددة والمختلفة. فداخل بيئته الخاصة يظهر الإنسان السوداني ويأخذ صورته المميزة وينمو فيها ويتطور ويخلق ثقافته الخاصةونظمه المحلية التى تنظم حياته وترتب علاقته بغيره.

الثانـي: العامـل الحضـاري الـذي يربـط هـذه البيئـات وبالتـالي يعطـي للشـخصية بعـدا جديـدا وهـذا البعـد هـو محاولـة الإلتقـاء بالغـير والعيـش معـه دون التضحيـة بالفرديـة أو المـزاج الخـاص او الشـعور بالمحليـة أو الإعتـزاز بهـا[٩]. ويسـمي صـبري محمـد هـذا المـزاج الخـاص الـذي ذكـره ابوسـليم أو الخصوصيـة الثقافيـة المتعلقـة بالمنطقـة النوبيـة ضمـن تعريفاتـه وتصنيفاتـه لملامـح الشـخصية السـودانية بالشـخصية السـودانية النوبيـة[١٠] ولكـن إسـتهواني تعبـير فكـري أبـو القاسـم لأثـر المنطقـة النوبيـة بشـمال السـودان بثقافتهـا المفتوحـة والمتراكمـة عـلى الشـخصية النوبيـة بالمـزاج النوبـي [١١] – وهـو العنـوان الـذي إسـتعرته أعـلاه- ولعلنـا نستشـف ملامـح المـزاج النوبـي في شـخصية عـلى عثمـان بـين ثنايـا مـا قالـه فى إحـدي محاضراتـه؛» ...وكثـير مـن الذيـن ظنـوا اننـي نوبـي قـح أو نوبـي متعصـب، سيندهشـون لحديثـي هـذا، هـذا لأننـا لـم نتعمـق كثـيراً في التطـور التكوينـي الاجتماعـي للنوبيـين. ومـا دخـل عليهـم مـن ثقافـة العروبـة ووصـل إلى شـخصية سـوية في رأيـي متكاملـة، بحيـث أن العربـي فخـور بأنـه عربـي، والمحـسي فخـور بأنـه محـسي، ويتعايشـان في اقليـم واحد،فنحـن تربينـا تربيـة مختلفـة جـداً، «مـا كان عندنـا زول عبـد وزول عربـي». وعندمـا خرجنـا مـن مجتمعنـا إلى مجتمـع أرحـب سـواء أكان عـلى مسـتوى الولايـة الشـمالية أو وادي سـيدنا، دخلنـا هـذا الوسـط بفكـرة المجتمـع، لا بفكـرة القبيلـة ولا الطـرق الصوفيـة ولا الحـزب السـياسي، فنحـن ختميـة في الاصل، ولكـن المجتمـع تكـون مـن مجموعـات اجتماعيـة وأسسـها مختلفـة جـداً مـن أسـس تكويـن القبيلـة أو الطـرق الصوفيـة أو الاحـزاب السياسـية،...»[١٢]. فالنوبـي تجـده منتمـي لمنطقتـه لدرجـة التماهـي ومعنـز بثقافتـه حتـى لدرجـة التعصـب، ولكـن في نفـس الوقـت تجـده مفتـح عـلى الآخريـن ويحـترم خصوصياتهـم الثقافيـة .

فمكتـب البروفسـير/على عثمـان محمـد صالـح بقسـم الآثـار- جامعـة الخرطـوم عبـارة عـن منتـدى دائـم يلتقـي فيـه الأضـداد مـن مختلـف المشـارب السياسـية والاجتماعيـة والثقافيـة يختلفـون ويتفقـون في حضرتـه فهـو القاسـم المشـترك الـذى يلتقـي عنـده الجميـع يتعارفـون ويتآلفـون. وكان لـه أسـلوبه الخـاص فى التعريـف بـين حضـور مجلسـه اليومـي .في إحـدي المـرات عنـد دخـولي مكتبـه ومعـه مجموعـة مـن الحضـور وانـا عنـد البـاب ألقيـت عليهـم التحيـة وقبـل أن اجلـس ، رد عـلي بصوتـه الجهـوري وضحكتـه الطفوليـة المميـزة:» وعليـك السـلام، أهـلا بالدنقـلاوي الكافـر، لكـن واللـه فيـك شـوية ولايـة انـا كنـت منتظـر جيتـك

تعال اقعد جنبي»، ثم وجه إلي حديثه مباشرة .وقال لي :» بتعرف ده -واشار إلي احدهم واجبته بالنفي- واصل حديثه ده دكتور أحمد المعتصم- رحمه آلله- مابيعجبوا العجب قرأ كتابك خلفاء مملكة المقرة، والغريبة أنو كتابك عجبو ، ثم توجه لأحمد المعتصم ضاحكا، ده عوض شبا صاحب الكتاب الكنت بتسأل منو. دنقلاوي بالو طويل مافي زول بيستحمل مساخة الرباطاب حقتك غيروا. كدى اقعدو مع بعض واتناقشو أنا حاسي بتطلعوا لينا حاجة كويسة « ثم واصل حديثه مع الآخرين. هذا هو عم علي- الاسم المعروف بين طلابه واحبابه- التواضع والبساطة والمباشرة في الحديث .رغم لوم البعض له في طريقته هذه في التعامل والحديث ولكني أظنه سمة من سمات النوبيين يخفون خلفه شخصية عظيمة وقد جدت هذا الأسلوب في التعامل مألوفا لدي منذ أول يوم قابلته فيه ولم إستهجنه، وكأنه مقتبس من مجالسنا في القرية. واستحضر هنا موقفا آخر، وهو عندما كنا في سنار ضمن إحدى الفعاليات العلمية لمشروع سنار عاصمة للثقافة الإسلامية عام2017م ، قابلت هناك الدكتور / هاشم سوداي من العراق ،تعرفت عليه أثناء بحثه عن من يتحدث لغة البرتا أو اللغة النوبية وذلك لترجمة نص عثماني مكتوب بإحدى اللغات السودانية فدلوه علي. توطدت علاقتى به وأثناء عودتنا إلي الخرطوم بعد نهاية المؤتمر بدأ يسألني عن الإثنيات والثقافات السودانية، وعن الثقافة النوبية وعن الزي النوبي- وكنت حينه ألبس جلابية وطاقية- ثم سألني عن أهم علماء التاريخ والآثار في السودان ،وعن عالم الآثار البروفسير/ على عثمان محمد صالح - يبدو أنه سمع به- قلت له عندما نصل الخرطوم إن شاء الله سوف اعرفك به؛ من حسن الحظ نزلنا من البص عند جامعة الخرطوم، ذهبنا مباشرة لمكتب البروفسير/ على عثمان ووجدناه جالسا وسط طلابه وحيرانه يمازحهم . قلت له:» ياعم على ده دكتور هاشم من العراق جاي يسلم عليك ويتعرف على النوبيين « .إندهش مضيفي من طريقة مخاطبتي لعالم جهير السيرة ولزيه البسيط جلبابه وطاقيته - عندها إبتسمت عندما قمت بمقارنة سريعة لزي عالمنا البسيط ولدكتور هاشم وهو في كامل أناقته بزيه الأفرنجي- فرد بتلقائية وود محبب وهو يضحك :» أهلا باخوانا في العراق. انا النوبة ذاتو داير شنو « هنا إرتبك دكتور هاشم وفطن عم على للأمر ووجه جلسائه بالخروج. وطلب من ضيفه الجلوس وأكرمه. وأخذ يحدثه عن السودان وتاريخه وآثاره، وسرعان ما تغيرت نظرة د. هاشم لعم على

وعـرف أنـه يجالـس إنسـان غـير عـادي وعالـم غزيـر المعرفـة. وعندمـا خرجنـا مـن عنـده. لـم يـزد عـن قولـه لي مندهشـا:» أنتـم شـعب غريـب». وهنـا نسـتأنس بمـا كتبـه إبراهيـم الـدلال في تحليـل عميـق لهـذه الثنائيـة في شـخصية عـم عـلى:»... جمع بـين طاقيـة الشريـف الخاتـم وكاب تشـيني في محبـة لا تعـرف الفـوارق بـين المعانـي الإنسـانية فهـو مـن خلفـاء الشريـف الخاتـم وخليفـة شـيني في آن واحـد وهكـذا تكـون عظمـة الرجـال ، مـن قناديـل الليـل ومـن أحبـاب الفقـراء والمسـاكين ورجـل ذكـر بامتيـاز مـن رآه بالنهـار وحُجـب بظاهـره ظنـه علمانيـاً ، يتسـتر بعلـم الآثـار وأوابـد الحضـارات القديمـة كمـا كان الشـيخ محمـد محجـوب الـدوكالي – الـولي الكبـير – الـذي قـال عنـه أبوبكـر العتيـق : (وكان يتسـتر بصناعـة الحلـواء بمدينـة كنـو) ، كان الشـيخ الـدوكالي عارفـاً كبـيراً وكان متمكنـاً مـن صناعـة الكيميـاء وفي مقـدوره أن يحيـل النحـاس ذهبـاً ولكنـه آثـر صناعـة الحلـواء زهـداً في الدنيـا وسـتراً لحالـه مـع اللـه ، هـو مـن أرومـةٍ قـومٍ أنـا أسـميهم يواقيـت السـودان إنهـم المحـس – النوبـة – والخـزرج – والعروبـة – والإفريقانيـة – والحضـارة في أسـمى معانيهـا .

العمـل معـه أشـبه بالوجـد الصـوفي الشـفيف وهـو رجـل صاحـب مرايـا كاشـفة مـن أحبـه نسـبه إلى الكشـف الصـوفي ومـن لا يحبـه يعتـبره أرواحـي عـلى علاقـة بالجـن و (النزازيـل) وهـو بـين هـذا وذاك إنسـان أروع مـا يكـون الإنسـان .

عـلي عثمـان سـفرٍ نفيـس جمـع بـين دفتيـه تاريـخ الحضـارة السـودانية بـكل جمالهـا وسـماحتها مـن العصـور الحجريـة مـروراً بكـوش الخالـدة ومـروي الأفـق المفتـوح عـلى إفريقيـا والعالـم إلى رهبانيـة المسـيحية الرائعـة المسـالمة إلى إشراق الإسـلام الحنيـف ، هـو رجـل ممتلـئ بروحانيـة الطبقـات التـي هـي عـين روحانيـة السـودان هـذا الوطـن العربـي الإفريقـي ذو المعجونـة النـادرة ، إنـه ابـن هذا الشـعب الإكسـير ذي الكيميـاء المتفـردة – تربـال وعلامـة ورجـل تكايـا ودرويـش بطـران ، بسـيط إلى درجـة الطفولـة صعـب المراقـي إذا جالـس كبـار العلمـاء وزاحمهـم في آفـاق مـدارات المعـارف العاليـة .. جمـع فأوعـى وشرب عصـارة المعـارف ونفـذ إلى الخلاصـات...»[13].

ملاحظات أولية لسيرته العلمية والفكرية:

مـن المؤكـد أن السـيرة العلميـة للبروفسـير/ عـلى عثمـان محمـد صالـح قـد أخـذت حيـزا كبـيرا في كتابـات وتحليـلات لمـن تصـدى لتوثيـق حياتـه ، ولكـن ظننـا فى هـذا الجـزء أننـا قـد نلـج بابـا غـير مطـروق في هـذا المجـال، وهـو أثـر المـكان

والبيئة أو المزاج النوبي في توجهات على عثمان العلمية والفكرية.ولد على عثمان في منطقة عريقة ضاربة بجذورها في التاريخ وغنية بتراثها وأثارها، وتشرب منذ نعومة أظفاره حب التاريخ والآثار وهو يستمع لحكاوي الأباء والأمهات والأجداد والجدات لعظمة إنسان هذا المنطقة منذ فجر التاريخ .وكان من بين ملاعب طفولته المواقع الآثرية التى تعج بها المنطقة مغطية كل الفترات التاريخية منذ العصور الحجرية ثم الحضارات العظيمة والمدنيات القديمة التى آثارها عنها، مرورا بالفترة المسيحية بكنائسها العريقة وطزرها المعمارية المختلقة وحتي الفترة الإسلامية بقبابها التى تناطح أشجار النخيل السامقة. كان الطفل على ينظر إليها بتعجب حينا ويتأمل حينا آخر هذا التواصل الحضاري والإستمرارية الثقافية الماثلة أمامه منذ آلاف السنين من الزمان.

في عام 1965م التحق الطالب على عثمان بكلية الآداب-جامعة الخرطوم، وتبارى عليه أساتذة الجامعة كل يحاول يضمه إلي التخصص الذى يدرسه وذلك لما بدر من نبوغه ولكن كانت للذاكرة الطفولة دور حاسم في إختياره للتخصص في الآثار وفي إختيار تخصصه الدقيق في مرحلتي الماجستير والدكتوراه عن الفترة المسيحية النوبية وآثارها، أو ما يعرف بالعصر الوسيط في تاريخ السوداني.

بعد نيله للدكتوراة قدم واحدة من أهم الأطروحات الآثارية السودانية وهي علم الآثار الوطني أو المدرسة الآثارية الوطنية؛ وبدأ تنفيذ هذا المشروع الآثاري بمنطقة المحس الموسوم ب(المسح الآثاري والتراثي لمنطقة المحس) . ومن الواضح هنا تأثير مكان الميلاد والنشأة على إختياره لهذه المنطقة كحقل ميداني لمشروعه كون علمه بتفاصيلها من ناحية. وبسبب ذاكرة النشاة التي إختزنت الكثير من الروايات الشفاهية وخاصة الفترة المسيحية وما يتعلق بمراسم التتويح الملكي في جبل سيسة وغيرها التى كان يرويها لنا من ناحية أخرى. وتشير رحاب شمبول-في ورقة قيد النشر - الي ان البروفيسور على عثمان خصص كثيرا من المقالات والمنشورات العلمية عن منطقة النوبة التى ينتمى اليها لأنه تشرب بثقافتها المحلية ويتحدث بلسانها وعاش بين اهلها فكان نتاج ذلك اعمال فكره فى قضاياها وخصوصيتها فى ماضيها وحاضرها واستعرضت بعضا من الكتابات المخصصة للمنطقة والتى اخذت حيزا مهما على قائمة الانتاج العلمى لبروفيسور على عثمان منها:

- New Kingdom and Kushite Sites in the Third Cataract Region , Sudanese Nubia
- A sketch of Political History of the Medieval Nubian Kingdoms.
- The Post – Medieval Kingdom of Kokka : A means of A Better Understanding of the Administration of the Medieval Kingdom of Dongola.
- Nubia The Origins and Meanings .
- Medieval Nubia : Retrospect s and Introspects.
- Eskale Water Wheel in the Eyes of A Nubian .
- Nubian Culture in the 20th century comments on Session 15 .
- Archaeology and Settlement in the Third Cataract Region .
- Abu Fatima ; A Nubian Settlement From the Times of Kerma to Modern Times.
- Place – Names as Evidence of History ; The Case of Historic Nubia and its Language.

- القضية النوبية فى إطار القومية السودانية
- مشكيلة ونورى : المعانى والدلالات[١٤].

وخلاصة القول فى ملاحظاتنا هذه وفق الإشارات المقتضبة- أعلاها- أن بيئة النشأة كان مؤثرا فى تشكيل الشخصية الأكاديمية العلمية للبروفسير على عثمان محمد صالح.

الخاتمة:

في نهاية هذه الورقة الموجزة التى نأمل أن لا تكون مخلة في إلقاءها بعض الضوء في سيرة عالم الآثار السوداني البروفسير/ على عثمان محمد صالح وتناولت ملاحظات وإحالات على هامش سيرة ميلاده جلها من وحي معاشرتي له. وهنا أتذكر جيدا أول لقاء معه عام ٢٠٠١م عندما وانا أعد لرسالة الماجستير أرسلني إليه أستاذى البروفسير/عمر حاج الزاكي ليناقشني في موضوع رسالتى قابلني يومها بوجه متجهم وحديث خشن فصبرت عليه على حسب وصية أستاذي(ما تزعل منو) وبعدها مازحني قائلا:» كنت بختبر صبرك ونوبيتك واشوفك لو بتنفع معاي والحمد لله نجحت « ، وجلست معه

ما يقارب الساعتين من الزمن ويومها علمني ثلاثة كلمات لن أنساها: « يا ابني عند.دراستك للتاريخ النوبي لا تخلط بين اللغة والدين والإثنية».

خلصت الورقة للقول بأن كان لمكان ميلاد ونشاة البروفسير/ على عثمان محمد صالح أثر واضح في تكوين ملامح شخصيته وفي مسيرته العلمية والفكرية. وتوصي الدراسة بالآتي: ١.أهمية إجراء مزيد الدراسات للرموز والرواد والعلماء في السودان والوطن العربي للإستفادة من تجاربهم. ٢.ضرورة تكاتف الجهود والتعاون بين المؤسسات العلمية والإكاديمية في المنطقة لإنجاح هذا المشروع التوثيقي .

صورة رقم(1) منظر عام لمشكيلا

صورة رقم(2) جبل نوري

صورة رقم (3)**مسيد حاجينكي القديم**

صورة رقم (4) تخريج علي عثمان في كلية الآداب – جامعة الخرطوم

صورة رقم (5)تجمع علي عثمان مع إبن عمه. شرف الدين عبدالعزيز إيام المرحلة الثانوية

صور رقم (6)علي عثمان في الجامعة

صورة رقم(7)علي عثمان في مناسبة إجتماعية

صورة رقم (8)علي عثمان مع زوجته نعيمة

صورة رقم(9)تجمع الكاتب مع البروفسور/ علي عثمان محمد صالح

المصادر والمراجع:

(1)صدر لي كتابان نهاية عام 2021م، وهما:
(2)المهدي في لبب(دراسة حول أثر المكان في تكوين الشخصية)
(3)الزعيم عبد الكريم عبد الجبار(إتكاءة على التاريخ الإجتماعي النوبي الحديث)
(4)ومقال منشور عن المكون الدينى للشخصية القيادية السودانية، شكلت هذه الدراسات الإطار النظري والمرجعي لهذه الورقة.
(5)المصدر الأساسي لهذه الورقة هو مقابلاتي وإتصالاتي الهاتفية مع البروفسير/علي عثمان محمد صالح التى إمتدت خلال السنين وحتي تاريخ كتابة هذه الورقة.
(6) سهام على الجميلي، علم نفس الطفولة،(بغداد: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي-هيئة المعاهد الفنية،1990م)، ص148.
(7)على عثمان محمد صالح،المصدر السابق
(8)الموسوعة العلمية
(9)شيخ الدين مختار محمد هاشم، تخصص علم الاجتماع-دكتوراه قيد المناقشة، العمر ٧٠عام، متواجد بالقاهرة تواصلت معه لإفادتي ببعض المعلومات لكتابة هذه الورقة وامدنى مشكورا أيضا بالصور الموجودة في الملاحق.
(10)على عثمان محمد صالح، المصدر السابق.
(11)مجيد محمد عارف،الأنثروبولوجيا التربوية،(بغداد: كلية الآداب-جامعة بغداد،1990م)، ص14.
(12) محمد إبراهيم أبو سليم، فى الشخصية السودانية،(الخرطوم: مركز أبوسليم للدراسات،2004م)،ص 2.
(13)صبري محمد خليل، عن الشخصية السودانية- دراسة منهجية للمظاهر الفكرية والسلوكية للشخصية السودانية،(الخرطوم: هيئة الخرطوم للصحافة والنشر،2008م)، كتاب الخرطوم الجديدة(14).
(14)فكري أبو القاسم، حلفا الجديدة الخطيئة والقربان،(الخرطوم،2000م)، ص46.

(15)علـى عثمـان محمـد صالـح، محـاضرة بعنـوان: رحلتـي مـن القبيلـة إلى المواطنة، https://alnssabon.com

(16)ابراهيـم الـدلال ، العلامـة عـلى عثمـان محمـد صالـح- صـوفي في محـراب الآثـار، sudanile,https//sudarees

(17)رحـاب شـمبول مصعـب مسـاعد، إضـاءة عـلى كتابـات البروفسـير/ عـلى عثمان محمـد صالـح العلميـة المنشـورة،(ورقة علميـة قيـد النشر).